أنواع الماء في القرآن الكريم ودلالاتها العلمية

Water Types in the Qur'an and their Scientific Implications

Jenis Air dalam al-Qur'an dan Implikasi Saintifiknya

ليث سعود جاسم*، وفاتن محمد الجدي**

الملخّص

إن أهمية الماء ودوره في وجود واستمرار الحياة على الأرض، قد أغرى كثيراً من العلماء لإجراء التجارب والأبحاث العلمية للكشف عن مكونات الماء وأسراره ومصادر وروده، وعلى الرغم من كثرة البحوث العلمية التي قامت على الماء ودورته في الطبيعة، ووجوه الإعجاز العلمي للآيات القرآنية التي تحدثت عنه، إلا أن الألفاظ القرآنية لا يزال في محتواها الشيء الكثير من الناحية اللغوية والدلالية، فقد يحوي اللفظ القرآني الواحد أكثر من معنى، ويتحمل في سياقه دلالات إضافية، تجعل منه منجماً لحقائق علمية كشف عنها العلم الحديث بآلياته المتطورة في البحث. يهدف البحث إلى إبراز دقة وجزالة وغنى اللفظ القرآني، وإعجازه البلاغي، ثم ربط دلالات الألفاظ القرآنية المنطوقة والمفهومة، بما تم اكتشافه في البحوث العلمية الحديثة، فيما يتعلق بأنواع الماء المذكورة في القرآن الكريم تحديداً، وفي ذلك ما فيه من الآيات البينات على أن القرآن الكريم وحي إلهي، وليس من قول البشر، كما أنه محفوظ بحفظ الله تعالى له من التبديل

* الأستاذ المشارك، بقسم دراسات القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا.

** طالبة في الدكتوراه، قسم دراسات القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا.

والتحريف. واتبع فيه منهج التفسير الموضوعي التحليلي الذي يقضي بجمع كل الآيات المتعلقة بالموضوع، ووضعها على مائدة البحث العلمي، واستعراض أقوال العلماء القدامى والمحدثين في هذه المسألة، ومناقشتها والترجيح بينها؛ للخروج بمعرفة شمولية حول ما جاء في القرآن الكريم بهذا الخصوص، واستنتاج علاقات رابطة بين هذه الآيات، قد تؤدي للكشف عن المزيد من أسرار هذا الكتاب المعجز.

الكلمات المفتاحية: أنواع الماء، القرآن الكريم، دلالاتها العلمية، العلماء، البشر.

Abstract

In view of the importance of water and its role in the existence and continuation of life on Earth, many scientists have conducted experiments and scientific research to detect the components of water, and its secrets and sources. In spite of the large number of scientific research conducted on water and its nature, in addition to the various scientific miracles of the Qur'anic verses that talked about, the linguistic and semantic point of view of the Qur'anic address on the issue of water with its many indications has gone largely overlooked. This paper argues that the semantic and linguistic details of the Qur'anic address can assist the research of modern science in this field. The research highlights the accuracy, abundance, and richness of the Qur'anic language in what concerns the types of water, and associates its semantic meanings with modern scientific research and discoveries. This presents evidence that the Holy Qur'an is divine revelation and not the words of man, and that it is divinely preserved from change and distortion. This study adopts the objective interpretation and analytical methods of Qur'anic exegesis by collecting all the verses on the subject whilst also reviewing the views of classical and contemporary scholars on this issue. From here, we hope to offer a comprehensive understanding of what is stated in the Qur'an in this regard, whilst also establishing concrete link between these verses, which may lead to detecting more of the secrets of this miraculous book.

Key words: Water Types, the Qur'an, Scientific Implications, Scientists, Humans.

Abstrak

Memandangkan kepentingan air dan peranannya dalam kewujudan dan kesinambungan kehidupan di bumi, ramai saintis telah menjalankan kajian dan penyelidikan saintifik untuk mengesan komponen air, dan rahsia dan puncanya. Walaupun bilangan besar kajian saintifik dijalankan ke atas air dan sifatnya, disamping pelbagai keajaiban saintifik ayat-ayat al-Quran mengenai air, titik linguistik dan pandangan semantik ucapan al-Quran mengenai isu air telah sebahagian besarnya

diabaikan. Kajian ini berpendapat bahawa butiran semantik dan linguistik ucapan al-Quran boleh membantu dalam penyelidikan sains moden dalam bidang ini. Kajian ini menekankan bahawa ketepatan, kelimpahan, dan kekayaan bahasa Al-Qur'an yang berkenaan dengan jenis air, dan mengaitkan makna semantik dengan penyelidikan dan penemuan saintifik moden. Ini membentangkan bukti bahawa Al-Quran adalah wahyu dan bukan kata-kata manusia, dan bahawa ia terpelihara secara ilahi dari perubahan dan penyelewengan. Kajian ini mengamalkan tafsiran objektif dan kaedah analisis pentafsiran al-Quran dengan mengumpulkan semua ayat-ayat mengenai subjek ini di samping itu juga mengkaji pendapat ulama klasik dan kontemporari mengenai isu ini. Dari sini, kami berharap untuk menawarkan pemahaman yang menyeluruh tentang apa yang dinyatakan dalam Al-Quran dalam hal ini, dan juga untuk mewujudkan pautan konkrit antara ayat-ayat ini, yang boleh mengakibatkan untuk mengesan rahsia selanjutnya dalam kitab mukjizat ini.

Kata Kunci: Jenis Air, al-Qur’an, Implikasi Saintifik, Saintis, Manusia.

المقدمة

الحمد لله الذي جعل من الماء كل شيء حي، وخلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، المبعوث رحمة للعالمين.

إن أهمية الماء ودوره في وجود الحياة واستمرارها، لدافع قوي يدعونا إلى مزيد البحث والتأمل في هذه المادة الفريدة، خصوصاً عندما نعلم أن الماء بلفظه الصريح قد ذكر في القرآن الكريم 63مرة، وذكر بألفاظ أخرى في مواضع عديدة، تتناول قضايا أساسية في حياتنا، كبدايات الخلق، وإحياء الأرض، وإخراج النبات وغيرها، وفي هذا البحث الموجز سنتناول قضية واحدة من هذه القضايا، ألا وهي أنواع الماء في القرآن الكريم، ولا توجد في هذه القضية بحوث كثيرة، على الرغم من كثرة البحوث حول الماء بصفة عامة، وقد نُشرت مقالة للدكتور عبد الدائم كحيل، حول أنواع المياه بين العلم والقرآن، قسم فيها الماء إلى ثلاثة أنواع فرات وأجاج وطهور، وتوجد بعض المنشورات التفسيرية التي تناولت أجزاءً من القضية في سياقها، خصوصاً فيما يتعلق بالإعجاز العلمي، كتفسير الآيات الكونية للدكتور زغلول النجار، وبعد البحث

والتأمل تبين وجود جوانب عديدة في أنواع الماء لم تنل حظها من التحليل والتعريف، ولعل هذا البحث سيلقي الضوء عليها.

انطلاقاً من أنّ القرآن عربي، ونزل بلغة العرب، فيكون الاعتماد على معنى اللفظ في اللغة العربية شيئاً أساسياً في التفسير؛ ولذلك فلفظ الماء في اللغة العربية، يدل على المعنى المعروف المتبادر للذهن عند الإنسان العربي، والتعريفات القديمة للماء ركزت على بعض الخصائص الظاهرية للماء، و لم تتعرض للتركيب الكيميائي لعدم توفر آلياته في ذلك الوقت، بينما ذكرت التعريفات الحديثة التركيبة الكيميائية للماء، فكانت أكثر دقة في التعريف، ولتوضيح المقصود سأعرض تعريفين للماء: قديم وحديث للمقارنة، فأما القديم فقد عرّف الكفوي (ت1094هـ) الماء في كلياته قائلاً: "الماء: هو جسم رقيق مائع به حياة كل نام"[1]، وأما في المعاجم الحديثة كالمعجم الوسيط، فتعريف الماء هو: "الماء سائل عليه عماد الحياة في الأرض، يتركب من اتحاد الهيدروجين والأكسجين بنسبة حجمين من الأول إلى حجم من الثاني، وهو في نقائه شفاف لا لون له ولا طعم ولا رائحة"[2].

إذاً المكونات الأساسية للماء هي الهيدروجين والأكسجين بنسبة 2: 1، هذه التركيبة هي التي تعطي للماء خصائصه الفريدة، وهي موجودة في كل نوع من أنواع الماء الآتي ذكرها في البحث؛ وذلك حتى ينطبق عليها لغوياً لفظ الماء، إذاً من أين تأتي أنواع الماء؟ تأتي من وجود مواد مضافة إلى الماء، سواء كانت أملاح أو معادن أو غيرها، مذابة أو مختلطة بالماء بنسب متفاوتة، فمثلاً: ماء البحر به نسبة عالية من الأملاح تميزه عن باقي أنواع الماء، وكذلك الماء الفرات به نسبة من المعادن تكسبه هذا الطعم المميز.

---

[1] الكفوي، **الكُليات**، ص873.

[2] مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ص892.

سنعرض الآن بعض هذه الأنواع التي خلص البحث إليها بعد استقراء مواضع ورود الماء في القرآن الكريم، وهي كالآتي:

1. الماء الذي كان قبل خلق السموات والأرض، والذي ورد ذكره في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ [هود:٧].
2. الماء الذي هو أصل في تكوين كل شيء حي والوارد ذكره في قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء:٣٠].
3. الماء الذي خلق الله منه البشر الأول، الوارد ذكره في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾ [الفرقان:٥٤].
4. ماء الأرض سواء كان مياه جوفية أو مياه سطحية، كالوارد ذكره في قوله تعالى: ﴿ ۞وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾ [الفرقان:٥٣].

5. الماء المنزل من السماء، كالوارد ذكره في قوله تعالى: قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [الفرقان:٤٨].
6. الماء الذي هو السائل المنوي الذي يتخلّق منه الإنسان، الوارد ذكره في قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المرسلات:٢٠].
7. الماء الذي هو أنواع السوائل المنوية التي يخلق منها دواب الأرض المختلفة والوارد ذكرها في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِى عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِى عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِى عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٥﴾ ﴾ [النور:٤٥].
8. الماء في الآخرة والوارد ذكره في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الأعراف:٥٠].

ويمكن تصنيف هذه الأنواع في المجموعات الآتية:

المجموعة الأولى: أنواع الماء التي لم يدرك كنهها العلماء.

المجموعة الثانية: أنواع الماء الموجودة في الأرض والمنزلة من السماء.

المجموعة الثالثة: أنواع الماء التي يخلق منها المخلوقات الحية من الإنسان والحيوان.

وسنبين بالشرح والتحليل في الصفحات الآتية طبيعة كل مجموعة من هذه المجموعات، التي تناولتها آيات القرآن الكريم، ودلالاتها العلمية.

أنواع الماء التي لم يدرك كنهها العلماء

لا زالت بعض أنواع الماء المذكورة في القرآن الكريم يلفها الغموض، ولم تنل حظها الكافي من التفسير من قبل علمائنا، إما لأنهم غفلوا عنها ظناً منهم أن معناها واضح، أو أنه لم يحن بعد زمان الكشف عن حقيقتها، من هذه الأنواع؛ الماء الذي كان عليه عرش الرحمن، والماء الذي جعل الله منه كل شيء حي، والماء الذي جعل الله منه البشر الأول، وأخيراً الماء في الجنة، وسنتناول ذلك بالشرح والتحليل لهذه الأنواع، وما يستنبط من دراستها دراسة موضوعية وبالله التوفيق.

الماء الذي كان عليه عرش الرحمن

بعد البحث والنظر في كتب التفسير، وتتبع أقوال العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ [هود:٧]، فلم نجد ـفيما اطلعنا عليه من المصادرـ من تعرض إلى تبيين نوع هذا الماء الذي كان عليه العرش، هل هو ماء فرات، أم أجاج، أم طهور، أم أي نوع آخر، بل كان أغلب المفسرين يركزون على ذكر أن الماء كان موجوداً قبل خلق السموات والأرض، مستدلين بالحديث الصحيح الوارد في ذلك، ومن هؤلاء العلماء الحافظ ابن كثير حيث يقول في تفسيره: "يخبر تعالى عن قدرته على كل شيء، وأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام، وأن عرشه كان على الماء قبل ذلك، كما قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن جامع بن شَدَّاد، عن صفوان بن مُحْرِزْ، عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «اقبلوا البشرى يا بني تميم». قالوا: قد بشرتنا فأعطنا. قال: «اقبلوا البشرى يا أهل اليمن». قالوا: قد قبلنا، فأخبرنا عن أول هذا الأمر كيف

كان؟ قال: «كان الله قبل كل شيء، وكان عرشه على الماء، وكتب في اللوح المحفوظ ذكر كل شيء». قال: فأتاني آت فقال: يا عمران! انحلت ناقتك من عقالها. قال: فخرجت في إثرها، فلا أدري ما كان بعدي"[3]. ثم قال ابن كثير: "وهذا الحديث مخرج في صحيحي البخاري ومسلم[4] بألفاظ كثيرة؛ فمنها: قالوا: جئناك نسألك عن أول هذا الأمر فقال: «كان الله ولم يكن شيء قبله[5] -وفي رواية: (غيره)[6] -وفي رواية: (معه)[7] -وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كلّ شيء، ثم خلق السموات والأرض»"[8].

وهناك من العلماء من صرح بأن هذه الآية مما قصرت عنه الأفهام، كما ورد هذا عن ابن عاشور، حيث ذكر وعدد مراتب عشرة للتشابه في القرآن وأسبابها، وكانت الآية السابقة تقع في المرتبة الرابعة للتشابه، فقال ما نصه: "رابعتها: معانٍ قَصُرت عنها الأفهام في بعض أحوال العصور، وأودعت في القرآن ليكون وجودها معجزة قُرآنيَّة عند أهل العلم في عصور قد يضعف فيها إدراك الإعجاز النظمي، نحو قوله: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨﴾ [يس:38]، ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ٢٢﴾ [الحجر:٢٢]، ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ

---

[3] أحمد، **المسند**، ج33، ص108، رقم19876.

[4] لم أجده في صحيح مسلم.

[5] البخاري، **الصحيح**، كتاب التوحيد، باب ﴿وكان عرشه على الماء﴾، ج6، ص2699، رقم6982.

[6] البخاري، **الصحيح**، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾، ج3، ص1166، رقم3019.

[7] لم أجده في البخاري.

[8] ابن كثير، **تفسير الفرآن العظيم**، ج4، ص306.

عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ۝٥ ﴾ [الزمر:٥]، ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ۝٨٨ ﴾ [النمل:٨٨]، ﴿وَشَجَرَةٗ تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ۝٢٠﴾ [المؤمنون:٢٠]، ﴿۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٖۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ۝٣٥﴾ [النور:٣٥]، ﴿حمٓ ۝١ ﴾ [فصلت: ١]، وذكرِ سَدِّ يأجوج ومأجوج"[9].

وكما نعلم أن كثيراً من معاني هذه الآيات قد كشف عنها العلم الحديث، ولذلك يصح أن نتساءل: ما هي طبيعة هذا الماء الذي كان عليه عرش الرحمن، والذي كان موجوداً قبل خلق السموات والأرض؟ هل هو ماء الحياة أم ماء آخر؟ ولأنه قد جاء معرّفاً بـــ(أل) الجنسية التي تفيد استغراق الأنواع والخصائص، هل يمكن أن نقول: إن هذا الماء هو الماء الأصل؟ هل هو الماء الذي يحوي كل العناصر المكونة للكون فلا يمكن وصفه بملوحة ولا عذوبة؟ الله أعلم، تبقى هذه الآراء مطروحة حتى يأذن الله تعالى بكشفها للناس.

[9] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج3، ص159.

الماء الذي هو أصل تكوين كل شيء حي

إن قوله تعالى: أَوَ لَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾ [الأنبياء:٣٠] قد شغل أذهان العلماء من مفسرين وباحثين، وكتبوا فيه جملة من الأبحاث العلمية، وسنركز على التحليل اللغوي والدلالي للآية، ومن ثم نربط بين ما ينتجه التحليل وما أثبتته الأبحاث العلمية، ولعل من المفيد بدايةً استعراض بعض أقوال المفسرين القدامى في تفسير الآية:

قال الطبري: "وقوله: ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾، يقول تعالى ذكره: وأحيينا بالماء الذي ننزله من السماء كلّ شيء.كما حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴾، قال: كلّ شيء حيّ خُلق من الماء."[10]، وقال ابن كثير: "وقوله: ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ أي: أصل كل الأحياء منه"[11].

فالطبري فسر الآية بأن الماء سببٌ للحياة، وابن كثير فسرها بأن الماء أصل كل الأحياء، وعند وضع الآية الكريمة على مائدة التفسير والبيان، نجد أننا بحاجة بعد توفيق الله تعالى إلى تدقيق النظر في عدة مسائل، منها: ما المعنى الدقيق للفعل جعل، وما الفرق بينه وبين الفعل خلق؟ ما معنى (من) في الآية؟ وما المراد بكلمة حي أو ما المفهوم القرآني للحياة في الآية؟ ثم عن أي نوع من أنواع الماء تتحدث الآية؟ حول هذه المسائل سيجري الحديث في السطور الآتية:

---

[10] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج18، ص434.

[11] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج5، ص339.

المسألة الأولى: تحديد معنى (جَعَل) مهم جداً في تفسير معنى الآية، وقد ذهب فريق من العلماء إلى أنها في هذه الآية بمعنى (خَلَق)، وليس كذلك، فبين جعل وخلق فرق دقيق في المعنى، وبالرجوع إلى أهل اللغة وجدنا أن ابن فارس يقول عن الفعل (جعل): "الجيم والعين واللام كلمات غير مُنْقاسة، ولا يشبه بعضها بعضاً"[12]، وهذا يعني أن الفعل (جعل) يجمع أكثر من معنى مختلف، فذهبت إلى أهل غريب القرآن لأرى ماذا يقولون في المسألة، فوجدت الراغب الأصفهاني قد أبدع وأفاض في تحصيل معاني الفعل جعل، حيث قال رحمه الله: "جعل: لفظ عام في الأفعال كلها، وهو أعمّ من فعل وصنع وسائر أخواتها، ويتصرّف على خمسة أوجه؛ **الأول**: يجري مجرى صار وطفق فلا يتعدى، نحو جعل زيدٌ يقول كذا، قال الشاعر:

فقد جَعَلت قلوص بني سهيل من الأكوار مرتعها قريب

والثاني: يجري مجرى أوجد فيتعدى لمفعول واحد نحو قوله عز وجل: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١﴾ [الأنعام:١]، ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل:٧٨]، **والثالث**: في إيجاد شيء من شيء وتكوينه منه نحو: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى:١١]، ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ

[12] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج1، ص460.

نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [النحل:٨١]، ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزخرف:١٠]، **والرابع**: في تصيير الشيء على حالة دون حالة نحو: ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة:٢٢]، وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [النحل:٨١]، ﴿ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴿١٦﴾ ﴾ [نوح:١٦]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الزخرف:٣]، **والخامس**: الحكم بالشيء على الشيء حقاً كان أو باطلاً فأما الحق فنحو قوله تعالى: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القصص:٧]، وأما الباطل فنحو قوله عز وجل: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [الأنعام:١٣٦]، ﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ

سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [النحل:٥٧]، ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الحجر:٩١]"[13].

إذاً فالفعل جعل على خمسة معانٍ، تتمثل في الإيجاد والتصيير، وليس فيها معنى الخلق، أما الفعل خلق "فالخلق أصله التقدير المستقيم ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء"[14]، ولذلك تجد في القرآن أن الجعل يكون بعد الخلق وليس العكس، قال تعالى: ﴿ ۞ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الروم:٥٤]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات:١٣]، ﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾﴾ [القيامة:٣٨-٣٩]، ومن ذلك نستنتج أن الفعل (جعل) يفيد إيجاد حدث في الشيء بعد خلقه.

المسألة الثانية: حرف الجر (من) يستعمل في اللغة للتعبير عن عدة معان، لعل من أشهرها: ابتداء الغاية، والتبعيض، وبيان الجنس، والتعليل وغيرها، والراجح أن معنى (من) في هذه الآية هو الابتداء، لأن الحديث قبل الآية وبعدها كان عن بدايات الخلق، والتعبير بـــ(كل شيء حي)، يشير إلى البداية العامة لكل المخلوقات الحية، فالأنسب -والله أعلم- أن تكون (من) هنا للابتداء.

---

[13] الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص94.

[14] المصدر السابق، ص157.

المسألة الثالثة: مفهوم الحياة في القرآن، هل الحياة وصف لكل مخلوق له روح أم أن الحياة وصف لا يختص بذوات الأرواح فقط؟ حول هذا المعنى ورد في الطبري ما نصه: "فإن قال قائل: وكيف خصّ كل شيء حيّ بأنه جُعِل من الماء دون سائر الأشياء غيره، فقد علمت أنه بالماء يحيا الزروع والنبات والأشجار، وغير ذلك مما لا حياة له، ولا يقال له حيّ ولا ميت؟ قيل: لأنه لا شيء من ذلك إلا وله حياة وموت، وإن خالف معناه في ذلك معنى ذوات الأرواح في أنه لا أرواح فيهنّ وأن في ذوات الأرواح أرواحاً"[15].

إذاً فالحياة بمعناها المادي تشمل كل شيء اتصف بالنمو أو الحركة أو الإحساس أو الإدراك، ولذلك فهي لا تقتصر على ذوات الأرواح فقط، بل تشمل الأرض وما فيها من مخلوقات.

المسألة الرابعة: لا يوجد في الآية الكريمة ما يدل على تخصيص نوع معين من الماء، غير ورود لفظ الماء معرفاً بأل الجنسية، التي تفيد الاستغراق للأنواع والخصائص المائية، فإذا أضفنا إلى ذلك دلالة السياق للآيات التي سبقت الآية الكريمة، والتي تشير إلى بدايات الخلق، حيث قال تعالى: ﴿ أَوَ لَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٣١ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ٣٢ ﴾ [الأنبياء:٣٠-٣٢]، نخلص إلى نتيجة مفادها أن هذا الماء ذا طبيعة خاصة، وإن كان جنس الماء المعروف متواجداً فيه، إلا أنه الماء الذي كان قبل بدء الحياة.

---

[15] الطبري، **جامع البيان**، ج18، ص434.

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ﴾ ودلالاتها العلمية:

بالنظر إلى ما سبق من تحليل لغوي ودلالي لمفردات الآية الكريمة، يظهر لنا تفسيرها كما يلي:

يخبرنا ربنا (تعالى)، أنه صيّر من الماء بدايةً لكل شيء حي، حيث (من) هنا تفيد الابتداء، وهذا يتفق مع الحقائق العلمية التي تقول: "إن الله تعالى خلق كل صور الحياة الأرضية الباكرة في الماء؛ لأن الأوساط المائية في بدء خلق الأرض كانت أنسب البيئات لاستقبال الحياة، ودراسات بقايا الحياة في صخور الأرض تشير إلى أن الحياة المائية استمرت على الأرض قرابة 3360 مليون سنة (في الفترة من 3800 مليون سنة مضت إلى 440 مليون سنة مضت) قبل خلق أول نباتات على اليابسة"[16].

الماء الذي خُلق منه البشر الأول

اختلفت أقوال العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [الفرقان:٥٤]، فمن قائلٍ أن المقصود بالماء هنا هو النطفة أي المني، ومن هؤلاء العلماء الطبري[17] وابن كثير[18]، ومن قائلٍ أن المقصود بالماء هنا هو الماء الذي خلق منه آدم عليه السلام، ومن هؤلاء العلماء الرازي[19] في كلامه عن كيفية خلق آدم عليه السلام، ومنهم من قال كلا المعنيين

---

[16] النجار، **تفسير الآيات الكونية للقرآن الكريم**، ج2، ص120.

[17] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج19، ص284.

[18] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج6، ص117.

[19] الرازي، **التفسير**، ج8، ص226.

يصح التفسير به، ومن هؤلاء البيضاوي[20] والألوسي[21]، وأرجح أن المراد بالماء هنا هو الماء الذي خلق منه آدم عليه السلام للاعتبارات التالية:

1. الآيات التي سبقت هذه الآية كانت تتحدث عن الماء بأنواعه، المطر والماء العذب والماء المالح، فمن المناسب أن يكون الحديث عن ماء من جنس الماء المذكور وليس النطفة، وهذه الآيات هي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۤ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحۡيِۦَ بِهِۦ بَلۡدَةً مَّيۡتًا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِى كُلِّ قَرۡيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان:٤٨-٥2].
2. الماء في هذه الآية معرّف بأل، بينما الماء في الآيات الأخرى والذي المراد به النطفة جاء دائماً نكرة، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ﴾ [السجدة:٨]، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المرسلات:٢٠]، ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ ﴾ [الطارق:٦]، **فدلّ ذلك أن الماء هنا غير الماء هناك.**
3. التعريف هنا للجنس، أي الماء المعروف وليس النطفة، قال الآلوسي: "هو الماء الذي خمر به طينة آدم عليه السلام وجعله جزءاً من مادة البشر لتجتمع

---

[20] البيضاوي، **أنوار التنزيل، وأسرار التأويل**، ج4، ص126.

[21] الآلوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج19، ص35.

وتسلس وتستعد لقبول الأشكال والهيئات، فالمراد بالماء الماء المعروف وتعريفه للجنس"[22].

4. كلمة بشراً هنا نكرة، ومن أغراض التنكير في اللغة الدلالة على الوحدة، فلو كان المراد بالماء هنا النطفة، والمراد بـــ(بشراً) البشرية كلها لم يستقم المعنى؛ لأن آدم وحواء وعيسى عليهم السلام لم يخلقوا من نطفة، ولا يوجد في الآية ما يدل على التقييد أو الاستثناء، أما إذا أريد بالماء ما خالط التراب فكان طيناً، والبشر هو آدم عليه السلام، استقام المعنى بلا إشكال.

5. قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [الفرقان:٥٤]، "أي قسمه قسمين ذوي نسب أي ذكوراً ينسب إليهم وذوات صهر أي إناثاً يصاهر بهن"[23]، وقال في آية أخرى تتحدث عن النطفة: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ Aثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ [القيامة: ٣٦ - 39]، الآية في سورة الفرقان جاء فيها الفعل (فجعله) الهاء تعود على البشر الذي هو آدم، أي فجعل آدم ذكراً وأنثى، وهذا حقيقي؛ لأن حواء خلقت من آدم نفسه بدون واسطة، بينما الآية في سورة القيامة جاء الفعل (فجعل منه) يعود على المني، أي من بعض المني يتخلق الذكر والأنثى، وهذا التفسير ينسجم مع الحقائق العلمية، إذن فالماء في الآية السابقة من سورة الفرقان ليس المراد به المني ولا النطفة، وفي هذا

---

[22] الآلوسي، **روح المعاني**، ج19، ص35.

[23] الآلوسي، المصدر السابق، ج19، ص36.

يقول الآلوسي: "وقيل: معنى جعل آدم نسباً وصهراً خلق حواء منه وإبقاؤه على ما كان عليه من الذكورة"[24].

6. في تعقيب الآية جاء قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾ [الفرقان:٥٤]، للدلالة على القدرة الربانية الأزلية باستخدام الفعل (كان)، وتنكير وتنوين لفظ (قدير) للدلالة على بالغ القدرة حيث جعل البشر الواحد (آدم) زوجين مختلفين في الجنس، ولاشك أن خلق آدم وحواء أعظم من خلق بقية البشر، وأدلّ على بالغ قدرة الله عزّ وجل.

بعد هذه الإشارات يترجح عندي التفسير القائل بأن نوع الماء المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [الفرقان:٥٤]، هو الماء الذي خالط التراب حتى أصبح طيناً، فخلق منه آدم عليه السلام، ولا يقصد بالماء في هذه الآية النطفة أو المني.

الماء في الجنة

قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأعراف:٥٠]، تذكر الآية جانباً من الحوار الذي سيدور بين أصحاب النار وأصحاب الجنة، حيث يستغيث أصحاب النار بأصحاب الجنة طالبين منهم أن يفيضوا عليهم من الماء الذي عندهم، أو يفيضوا عليهم مما رزقهم الله في الجنة، لفظ الماء جاء معرفاً بـــ(أل)، يعني أن أصحاب النار لا يطلبون أي ماء بل ماء معيناً،

[24] الآلوسي، المصدر السابق، ج14، ص122.

والفصل بـــ(أو) بين الماء والرزق يشعر أن هذا الماء ماء مخصوص؛ لأن الماء يدخل ضمن نعيم الجنة التي رزق الله عباده المؤمنين، فلماذا كان الفصل بـــ(أو) التي تفيد الاختلاف في المعنى، لم نجد الإجابة فيما اطلعنا عليه من التفاسير، ولكنا وجدناها في كتب الحديث الشريف، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لاَ يَمُوتُونَ فِيهَا وَلاَ يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ: بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً، حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ[25] ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»[26]. قال النووي في شرح الحديث: "وأما معنى الحديث فالظاهر -والله أعلم- من معنى هذا الحديث أن الكفار الذين هم أهل النار، والمستحقون للخلود لا يموتون فيها ولا يحيون حياة ينتفعون بها ويستريحون معها، كما قال الله تعالى: ﴿لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها﴾، وكما قال تعالى: ﴿ثم لا يموت فيها ولا يحيى﴾ وهذا جارٍ على مذهب أهل الحق أن نعيم أهل الجنة دائم، وأن عذاب أهل الخلود في النار دائم، وأما قوله ﷺ: «ولكن ناس أصابتهم النار ...» إلى آخره، فمعناه أن المذنبين من المؤمنين يميتهم الله تعالى إماتة، بعد أن يعذبوا المدة التي أرادها الله تعالى، وهذه الإماتة إماتة حقيقية يذهب معها الإحساس، ويكون عذابهم على قدر ذنوبهم ثم يميتهم، ثم يكونون محبوسين في النار من غير إحساس، المدة التي قدرها الله تعالى، ثم يخرجون من النار موتى قد صاروا فحماً، فيحملون ضبائر كما تحمل الأمتعة، ويلقون على أنهار الجنة، فيصب عليهم ماء الحياة،

---

[25] الضبائر: الجماعات المتفرقة واحدها ضبارة. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج4، ص479.

[26] مسلم، **الصحيح**، ج1، ص118.

فيحيون وينبتون نبات الحبة في حميل السيل في سرعة نباتها وضعفها، فتخرج لضعفها صفراء ملتوية، ثم تشتد قوتهم بعد ذلك، ويصيرون إلى منازلهم، وتكمل أحوالهم"[27].

وفي حديث آخر: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا لَا يَمُوتُونَ وَلَا يَحْيَوْنَ، وَأَمَّا أُنَاسٌ يُرِيدُ اللَّهُ بِهِمْ الرَّحْمَةَ فَيُمِيتُهُمْ فِي النَّارِ، فَيَدْخُلُ عَلَيْهِمْ الشُّفَعَاءُ، فَيَأْخُذُ الرَّجُلُ أَنْصَارَهُ فَيَبُثُّهُمْ -أَوْ قَالَ: فَيَنْبُتُونَ- عَلَى نَهَرِ الْحَيَاءِ -أَوْ قَالَ: الْحَيَوَانِ، أَوْ قَالَ: الْحَيَاةِ، أَوْ قَالَ: نَهَرِ الْجَنَّةِ- فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ» قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا تَرَوْنَ الشَّجَرَةَ تَكُونُ خَضْرَاءَ، ثُمَّ تَكُونُ صَفْرَاءَ -أَوْ قَالَ: تَكُونُ صَفْرَاءَ- ثُمَّ تَكُونُ خَضْرَاءَ» قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ بِالْبَادِيَةِ"[28].

في الحديثين السابقين وردت الإشارة إلى ماء خاص، هو ماء الحياة أو ماء الحيوان، وهذا بالضبط ما يريده أهل النار، ليس مجرد ماء لإرواء العطش بل هو ماء يجعلهم أحياء، ولذلك أجابهم أهل الجنة بأنه محرم عليهم، لأن أهل النار لا يموتون فيها ولا يحيون.

مياه الأرض

من أبرز أماكن وجود المياه في الأرض البحار، والبَحْرُ في اللغة: "خلاف البرِّ. يقال: سمِّي بحراً لعُمقه واتساعه. والجمع أَبْحُرٌ وبِحارٌ وبُحورٌ. وكلُّ نهرٍ عظيمٍ بَحْرٌ"[29]، "وأصل البحر كل مكان واسع جامعٍ للماء الكثير، هذا هو الأصل، ثم اعْتُبِر

---

[27] النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ج3، ص37.

[28] أحمد بن حنبل، المسند، ج17، ص59، رقم 11016

[29] الجوهري، **الصحاح**، ج1، ص32.

تارةً سعته الـــمُعايَنة، فيقال: بَحَرْتُ البعير شَقَقْتُ أُذُنه شقّاً واسعاً، ومنه سُمِّيَتِ البحيرة"[30].

ومعنى البحر في القرآن يماثل معناه اللغوي، فالبحر هو بحر الملح، وكذلك النهر العظيم، وقد ورد في القرآن الكريم ذكر نوعين من المياه تجري في البحار، وهما الماء العذب الفرات، والماء الملح الأجاج، قال تعالى: ﴿۞وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾ [الفرقان:٥٣]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [فاطر:١٢].

الماء العذب الفرات

هو ماء الأنهار العظيمة، كنهر النيل، ونهري دجلة والفرات، ومعنى العذب: الحلو الطيب البارد والفرات: هو أَشَدُّ الماء عُذوبةً، من فرتَ الشيء أي شقَّه، فكأنه فرت العطش[31]، والسائغ: من ساغ الشراب في الحلق إذا سهل انحداره[32].

---

[30] الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص37.

[31] ابن منظور، **لسان العرب**، ج2،ص65،

[32] ينظر: الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص249.

الماء الملح الأجاج

وهو ماء البحار المالحة، ومعنى الملح الماء الذي فيه الطعم المعروف من أصل خلقته كماء البحر، وهو يختلف عن الماء المالح وهو الذي أذيب فيه الملح فتغير طعمه، والملح الأجاج أي الذي جمع بين شدة الملوحة والمرارة ، فلا يستساغ شرابه ، مأخوذ من أجيج النار، فكأنه يحرق الحلق من شدة ملوحته.

لاوقد يتسأل القارئ للقرآن لماذا وصف الماء العذب بالفرات السائغ الشرب، و لم يكتفي بوصفه بالعذب فقط؟ ولماذا وصف الماء الملح بالأجاج، و لم يقتصر على وصفه بالملح فقط؟ يجيب أحد الباحثين في هذا الموضوع عن هذا التساؤل فيقول: "لقد وجدتُ بأن علماء المياه عندما يتعاملون مع الماء لا يكتفون بإطلاق صفة العذوبة أو الملوحة على الماء. فكل المياه التي نراها على الأرض سواء في الأنهار أو البحيرات أو مياه الآبار جميعها تحوي أملاحاً بنسبة لا نكاد نشعر بها، ولكنها لا تغيب عن الله تعالى وهو خالقها!؛ لذلك جاء البيان الإلهي بصفة ثانية وهي (فرات) أي مستساغ المذاق بسبب انحلال بعض المعادن والغازات فيه والتي تعطي الماء طعمه المعروف. وبالمقابل نجد أن صفة (ملح) لا تكفي لوصف ماء البحر بشكل دقيق فأتبعها الله تعالى بصفة ثانية وهي (أجاج) أي زائد عن الحد، وهذه الكلمة من فعل (تأجّج) أي زاد وبالغ"[33].

الماء المنزل من السّماء

وهذا نوع آخر من المياه يحدثنا عنه القرآن، أنه الماء المنزل من السماء، وهو يتميز عن غيره بأنه طاهر، خالٍ من الأملاح، مطهر لغيره، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ

[33] الكحيل، **أنواع المياه بين العلم والقرآن**، ص3، 4.

ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورٗا ﴿٤٨﴾ [الفرقان:٤٨]، "والطَّهور بفتح الطاء من أمثلة المبالغة في الوصف بالمصدر كما يقال: رجل صَبور. وماء المطر بالغ منتهى الطهارة؛ إذ لم يختلط به شيء يكدره أو يقذره، وهو في علم الكيمياء أنقى المياه لخلوه عن جميع الجراثيم فهو الصافي حقاً. والمعنى: أن الماء النازل من السماء هو بالغ نهاية الطهارة في جنسه من المياه، ووصف الماء بالطهور يقتضي أنه مُطهّر لغيره؛ إذ العدول عن صيغة فاعل إلى صيغة فَعول لزيادة معنى في الوصف، فاقتضاؤه في هذه الآية أنه مطهّر لغيره اقتضاء التزامي ليكون مستكملاً وصف الطهارة القاصرة والمتعدية"[34].

وهذا المعنى اللغوي له مدلوله العلمي الذي يؤكده، حيث يقول المختصون عن ماء المطر: إنه "يستطيع نزع الأوساخ من على جلد الإنسان أكثر من الماء العادي، لذلك يعتبر هذا الماء مادة معقمة ومطهرة تستخدم في الطب. وهو خالٍ من الفيروسات والبكتريا، وهو أيضاً ماء يمتلك خاصية امتصاص المعـــادن والغازات والغبار وأي مادة تصادفه بنسبة كبيرة، لذلك هو مادة مطهرة للجوّ أيضاً"[35] .

أنواع الماء المنوي الذي يخلق منه الإنسان

ورد ذكر خلق الإنسان من الماء المنوي، في القرآن الكريم 3 مرات، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٨﴾ ﴾ [السجدة:٨]، وقال: ﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المرسلات:٢٠]، وقال تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ﴿٦﴾ ﴾ [الطارق:٦].

---

[34] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج19، ص47، 48.

[35] الكحيل، **أنواع المياه بين العلم والقرآن**، ص8.

ومن الملاحظ من الآيات السابقة أن السائل المنوي قد سماه القرآن الكريم ماءً، مع أنه في شكله الخارجي لا يشبه الماء، وسبب هذه التسمية كشف عنها العلم الحديث؛ بدراسته لمكونات السائل المنوي البشري، ويمكن تلخيص هذه الأسباب في الآتي:

1. الماء هو المكون الرئيسي للسائل المنوي، حيث يحتوي هذا السائل على حوالي 90% من مكوناته ماء.
2. باقي مكونات السائل المنوي على اختلافها تذوب في الماء؛ لقدرته العالية على إذابة أغلب المواد بدرجات متفاوتة.
3. يمتاز الماء بخاصية فريدة، وهي قدرته على إذابة المواد دون التفاعل معها، وبذلك يسمح للمواد المذابة فيه بالمحافظة على خصائصها[36].

للأسباب السالفة الذكر وغيرها، كان أصدق الأسماء إطلاقاً على السائل المنوي هو الماء، فسبحان الله العظيم. وقد وصف القرآن الماء المنوي، بوصفين هما: مهين، ودافق.

فأما مهين: فمعناه ضعيف، قال ذلك ابن عباس، ومجاهد، والطبري[37]، وابن كثير[38]، وغيرهم، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿ ۞ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الروم:٥٤].

وأما دافق: فالدفق يقول فيه ابن فارس: "الدال والفاء والقاف أصل واحد مطردٌ قياسهُ، وهو دفع الشيء قُدُماً"[39]. والدفق هنا جاء صفة للماء المنوي نفسه، وفي ذلك

---

[36] لمزيد من المعلومات ينظر: دسوقي عبد الحليم، **الماء الدافق تركيبه خصائصه**.

[37] الطبري، **جامع البيان**، ج20، ص172.

[38] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج5، ص466.

[39] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج2، ص286.

دلالة علمية دقيقة، حيث أثبت العلم الحديث أن الحيوية والحركة المتدفقة شرط أساسي يجب توفره في ماء الرجل وماء المرأة حتى يحدث الإخصاب[40].

أنواع الماء التي خلقت منها الدواب

وردت الإشارة إلى خلق دواب الأرض من الماء في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ ﴾ [النور:٤٥]، والدابة: يقول الراغب: "الدب والدبيب مشي خفيف ويستعمل ذلك في الحيوان وفي الحشرات أكثر ، ويستعمل في الشراب والبلى ونحو ذلك مما لا تدرك حركته الحاسة ، ويستعمل في كل حيوان وإن اختصت في التعارف بالفرس"[41]، ولفظ الماء هنا جاء نكرة، وهذا يفيد العموم، ويعني أن كل دابة خلقت من ماء (نطف) جنسها، على اختلاف أنواع الدواب، سواء أكانت هذه الدواب تمشي على بطنها كالديدان والثعابين، أو كانت تمشي على رجلين كالإنسان والطيور، أو كانت تمشي على أربع كالأنعام.

---

[40] لمزيد من المعلومات ينظر: جونسون والزنداني، **وصف التخلق البشري .. مرحلة النطفة**.

[41] الراغب الأصفهاني، **المفردات**، ص164.

الخاتمة

استعرضنا في بحثنا بعض أنواع الماء التي ذكرت في القرآن الكريم، وقد صنفناها في ثلاث مجموعات:

الأولى: أنواع الماء التي لم يدرك كنهها العلماء.

والثانية: أنواع الماء الموجودة في الأرض والمنزلة من السماء.

والثالثة: أنواع الماء التي يخلق منها المخلوقات الحية من الإنسان والحيوان.

وتبين من خلال الدراسة الموضوعية التحليلية أن ميدان البحث في أنواع الماء لازال مفتوحاً، وأن الدلالات العلمية للمعاني اللغوية للآيات تساهم في بيان المقصود، وتدل على مصدرية القرآن الربانية، وتدعو المسلمين إلى المزيد من البحث اللغوي والعلمي، وقد حاولنا في بحثنا هذا الإشارة إلى هذا الموضوع المهم والثري علمياً، حيث إمكانية الإحاطة بأنواع الماء في القرآن لا يتسع لها المقام، فضلاً عن قصور الأفهام، ومن هنا كان واجب المسلمين التعاون والتدارس والتباحث فيما بينهم، لخدمة هذا الكتاب العظيم، والكشف عن أسراره، وتبليغه للعالمين.